

تفسير البحر المحيط

@ 370 @ توحيد □ . { إِنْ هَآذَآ إِلَّا اِخْتِلَاقٌ } : أي افتعال وكذب . .
{ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيِّنَاتٍ } : أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم
وينزل عليه الكتاب من بينهم ، وهذا الإنكار هو ناشئ عن حسد عظيم انطوت عليه صدورهم
فنطقت به ألسنتهم . { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي } : أي من القرآن الذي أنزلت على
رسولي يرتابون فيه ، والإخبار بأنهم في شك يقتضي كذبهم في قولهم : { إِنْ هَآذَآ إِلَّا
اِخْتِلَاقٌ } . { بَلْ لَّسَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ } : أي بعد ، فإذا ذاقوه عرفوا أن ما
جاء به حق وزال عنهم الشك . { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ } : أي ليسوا
متصرفين في خزائن الرحمة ، فيعطون ما شاؤوا ، ويمنعون من شاؤوا ما شاؤوا ، ويصطفون
لِلرَّسَالَةِ مَنْ أَرَادُوا ، وإنما يملكها ويتصرف فيها { الْعَزِيزُ } : الذي لا يغالب ،
الْوَهَّابُ } : ما شاء لمن شاء . .
لما استفهم استفهام إنكار في قوله : { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ } ،
وكان ذلك دليلاً على انتفاء تصرفهم في خزائن رحمة ربك ، أتى بالإنكار والتوبيخ بانتفاء
ما هو أعم فقال : { أَمْ لَهُمْ مَّا لَكُمْ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } : أي ليس لهم شيء
من ذلك . { فَلَا يَدْرُونَ تَقْوَاهُ } : أي ألهم شيء من ذلك ، فليصعدوا ، { فِي * الْأَسْبَابِ }
، الموصولة إلى السماء ، والمعارج التي يتوصل بها إلى تدبير العالم ، فيضعون الرسالة
فيمن اختاروا . ثم صغروهم وحقرهم ، فأخبر بما يؤول إليه أمرهم من الهزيمة والخيبة . قيل
: وما زائدة ، ويجوز أن تكون صفة أريد به التعظيم على سبيل الهزء بهم ، أو التحقير ،
لأن مال الصفة تستعمل على هذين المعنيين . و { هُنَالِكَ } : ظرف مكان يشار به للبعيد .
والظاهر أنه يشار به للمكان الذي تفاوضوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، بتلك
الكلمات السابقة ، وهو مكة ، فيكون ذلك إخباراً بالغيب عن هزيمتهم بمكة يوم الفتح ،
فالمعنى أنهم يصيرون مهزومين بمكة يوم الفتح . وقيل : { هُنَالِكَ } ، إشارة إلى
الإرتقاء في الأسباب ، أي هؤلاء القوم إن راموا ذلك جند مهزوم . وقيل : أشير بهنالك إلى
جملة الأصنام وعضدها ، أي هم جند مهزوم في هذه السبيل . وقال مجاهد ، وقتادة : الإشارة
إلى يوم بدر ، وكان غيباً ، أعلم الله على لسان رسوله . وقيل : الإشارة إلى حصر عام
الخدق بالمدينة . وقال الزمخشري : وهنالك ، إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من
الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم : لمن يندبه لأمر ليس من أهله ، لست هنالك .
انتهى . و { هُنَالِكَ } ، يحتمل أن يكون في موضع الصفة لجند ، أي كائن هنالك ؛ ويحتمل

أن يكون متعلقاً بمهزوم ، وجند خبر مبتدأ محذوف ، أي هم جند ، ومهزوم خبره . وقال أبو البقاء : جند مبتدأ ، وما زائدة ، وهنالك نعت ، ومهزوم الخبر . انتهى . وفيه بعد لفصله عن الكلام الذي قبله . ومعنى { مَنَّ الالْوَكَزَابِ } : من جملة الأحزاب الذين تعصبوا في الباطل وكذبوا الرسل . ولما ذكر تعالى أنه أهلك قبل قريش قروناً كثيرة لما كذبوا رسلهم ، سرد منهم هنا من له تعلق بعرفانه . و { ذُو الالْوَكَزَادِ } : أي صاحب الأوتاد ، وأصله من ثبات البيت المطنّب بأوتاده . قال الأفوه العودي : % (والبيت لا يبتنى إلا على عمد % . ولا عماد إذا لم ترس أوتاد . %)

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر ، كما قال الأسود : % (في ظل ملك ثابت الأوتاد